من عطاءات

قرآنية الباب الثاني والثالث

الجهاد والنعمة

كنيسة السيدة العذراء
محرم بك اسكندرية

الجهاد والنعمة

لغبطة البابا المعظم

الانبا شنودة الثالث

قداســـة البـــابا المعظـــم

الانبـــا شـــنودة الثـــالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحوى هذه النبذة احدى محاضرات تداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها — واربعا اخرى غيرها — بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة القديس مارمينا بالمنـــدرة — وكان تداسته عندئذ أسقفا للتعليم — وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء بحرم بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعـــة اولى عام ١٩٧١ — وهو أول عام لتبوأ تداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء الالحاح فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعها واحـــدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

الجهاد والنعمة

راجين الـــرب ان يجعلها لخير القـــراء ولبركة حيـــاتهم وشركتهم فى الـــرب . ببركة صلوات تداسة البـــابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حيـــاته ورئاسته للكنيســـة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة — آمين .

الكنيســـة

الجهاد والنعمة

ان الاعتدال فى الامور الروحية ينقذ الانسان من سقطات كثيرة . وعيب الانسان انه فى بعض الاوقات يتحمس لنقطة معينة ، ويركز فيها كل فكره ، وينسى باقى النقط التى تتعلق بالموضوع ، وبهذا يخطىء .

الجهـــاد والنعمـــة معـــا :

كيف يخلص الانسان ــ هل بالجهـــاد وحده ام بالنعمـــة وحـــدها ؟ لا يمكن للانســـان أن يخلص بالجهـــاد وحده . فالسيد المسيح يقول : « بدونى لاتقدرون ان تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . فمهما جاهدت ومهما تعبت لا يمكن أن تصل الى نتيجة بدون معونة من الله ــ وايضا من جهة النعمة « ان الاله لا يريدنا أن نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينـــا الملكوت » كما قال يوحنا ذهبى الفم . « اذلك فالنعمة لا تفعل شىء » . فهى ليست مجالا للكســـل والتهاون والتراخى . فلا تتـــرك نفسك دون أن تعمل شيئا ، وتقول ان النعمة تعمل كل شىء . فهذا معناه انك تنام ولا تبذل اى جهد وتتهاون فى اداء واجباتك ثم تقول ان النعمة هى التى تعمل .

كان يشوع بن نون يقود جيش شعب الله ويحارب ، وفى نفس الوقت كان موسى النبى يقف على الجبل رافعا يديه بالصلاة حتى النصرة . فهل انتصر شعب الله عن طريق جيش يشوع ام عن طريق صلاة موسى ؟ يخطىء من يخص واحدة فقط من الاثنتين . لان يشوع وحده وهما حارب بدون صلاة موسى — اى بدون معونة الله — لا يمكن أن ينتصر . وصلاة موسى وحدها ليس معناها تشجيع شعب الله أن يتراخى ويتكاسل ويهرب من أمام العدو ، ويقول تكفى صلاة موسى . الجهاد والصلاة كانا سائرين سويا . هذا يجاهد فى الحرب ، وذاك يصلى الجهاد والنعمة متلازمان .

هناك عبارة جميلة او فهمناها لفهمنا كثيرا عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية : نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم ٢ كو ١٣ : ١٤ **فما معنى عبارة ((شركة الروح القدس)) انها شركة بين اثنين** يعملان سويا : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر ان ينقذك وينجيك ولكنه لا يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك أن تشترك معه فى تدبير حياتك . تقول كيف هذا ؟ ان الروح القدس وحده يكفى ، اذن ما الفرق بين الذين خلصوا والذين لم يخلصوا .. بين الابرار والاشرار ؟ اذا كان الروح

القدس يعمل وحده كل شيء : فلماذا يوجد انسان خاطىء على الارض ؟ لماذا لم يتب هذا الخاطىء ويخلص ؟ لماذا لم يتوبه الروح القدس ان كان الروح القدس يعمل وحده كل شيء ؟!

ان كان كل شيء بواسطة النعمة وحدها ، فلماذا لا تعمل فى جميع الناس ؟ وبذلك لا يكون هناك خاطىء واحد فى العالم ، ان مجرد وجود انسان خاطىء واحد فى العالم دليل قوى على أن النعمة لا تعمل وحدها كل شيء ..

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية ؟

ان الروح القدس يعمل فينا لاجل الخير . وبر الانسان يأتى نتيجة اتحاد ارادته بعمل النعمة ، نتيجة شركة الروح القدس .. فارادتك تتحد مع الروح القدس فى خلاص نفسك ، وهذه هى شركة الروح القدس . والانسان يستطيع بارادته الحرة أن يوقف عمل الروح القدس فيه . فالكتاب يقول : « لا تطفئوا الروح » ١ تس ٥ : ١٩ . ويقول ايضا « لا تحزنوا روح الله » اف ٤ : ٣٠ والنعمة واقفة على الباب تقرع .. « ها انذا واقف على الباب واقرع ، ان سمع احد صوتى وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معى » رؤ ٣ : ٢٠ . فالنعمة تعرض معونتها عليك ، وانت حر تقبل

أو لا تقبل .. تعمل أو لا تعمـــل .. اذا اشتركت مع الروح القدس فى العمل ، تصـــل بنعمة الروح القدس الى كمـــال القداسة . واذا رفضت الاشتراك ، فالنعمـــة وحدها لا يمكن أن ترغمك على الخـــير .

يتطرف كثير من الناس لدرجة أن كامة الجهـــاد الشخصى تبدو كما لو كانت هرطقة ، كما لو كانت عملا ضد الايمان ، وضد معونة الله . وهذا خطأ . **فالنعمة عبـــارة عن ســـلاح يمكنك به أن تحارب لو اردت ويمكنك ايضـــا ان لا تحارب . فعلى حسب ارادتك واشتغالك بهـــذا السلاح يكون خلاص نفسك** . واحد مثلا فى الحـــرب أعطى دبابة وقنـــابل ومدافع وأسلحة وانتصر . فهل النصر راجع الى الاسلحة وحدها ؟ وهل الحرب كلها كانت متوقفة على السلاح فقط؟ كلا ، لان السلاح وحده لا يعمل أذا لم يكن هناك الشخص الذى يعمل بالســـلاح ، كذلك الانتصـــارات فى الحرب الروحية ، هى اشتراك مع نعمـــة الروح القدس التى هى الســـلاح .

ضرورة الجهـــاد :

كثيرة هى الايات التى تشرح ضرورة الجهاد .. وكمثال : يقول الكتاب : « اذلك نحن أيضا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنـــا

بسهولة **ولنحاصر بالصبر فى الجهاد** الموضوع امامنا » عب ١٢ : ١ . يقول الرسول هذا ، ثم يوبخ العبرانيين قائلا : **« لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية »** عب١٢:٤

فالمفروض أن نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، انما جهاد حتى الدم ضد الخطية . ثم الى متى هذا الجهاد ؟ يقول الرب : « الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » مت ١٠ : ٢٢ .

وهنا يعترض الذين يقولون بأهمية النعمة دون الجهاد بالاية القائلة : « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » رو ٩ : ١٦ . ما معنى هذا ؟ هل رحمة الله هى التى تعطينا الخلاص المجانى ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعى وبدون مشيئة صالحة ؟ مستحيل !! . هل معنى هذا أن كل انسان ينام فى الخطية كما يريد ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريده ، يرحمه الله ؟ كلا . فان بولس نفسه الذى كتب هذه الكلمات يقول : **« قد جاهدت الجهاد الحسن اكملت السعى** حفظت الايمان واخيرا قد وضع لى اكليل البر .. » ٢ تى ٤ : ٧ ، ٨ . ان الذى قال « ليس لمن يسعى » قد اكمل السعى ، ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعى وهذا الجهاد الحسن .

بل ان بولس نفسه يقـــول اكثر من هذا : « ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهـــم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعالة هكذا **اركضوا لكى تنـــالوا** » ١ كو ٩ : ٢٤ . فكيف نركض ؟ والامر ليس لمـــن يشاء ولا لمـــن يســـعى !! « وما فائدة أن نركض ونجاهد ؟ كفـــانى أن أجلس كما أنا ، وتأتينى النعمة من عنـــد الله وتنقلنى الى الملكوت ، دون أن أشاء ودون أن اسعى !! » وهذا لا يكون ، اذ أن بولس يكمل ويقول « **وكل من يجـــاهد يضبط نفسه فى كل شىء** أما اولئك فلكى ياخذوا اكليـــلا يفنى وأما نحن فاكليلا لا يفنى . **اذا انا اركض هكذا** . . بل اقمع جسدى واستعبده حتى بعدما كرزت للاخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٥ ــ ٢٦ .

فبولس نفسه يركض ، بولس الذى كان ممتلئـــا من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هل كان محتاجا ان يركض ؟ . . نعم كان محتاجا ، لكى ينال . بل يقمع جسده ويستعبده حتى لا يصير هو نفسه مرفوضا . فان كان بولس الرسول يجـــاهد ، ويخاف أن يرفض ، فمـــاذا نفعـــل نحن ؟! .

هل يقف الجهاد فى وقت ما ؟

لا يظن احد انه يمكن أن يسلم الانسان نفسه للنعمة ويؤمن ويخلص وكفى — يقول البعض انه خلص وانتهى الامر ، فما معنى كلمة « خلص؟ » اتعنى ان النعمة قد عملت فيه وخلصته وكفى ، فهو لا يحتاج للجهاد لانه قد ضمن السماء فى بطاقته !! ان هذا خطأ بلا شك ، لاننا نحتاج الى الجهاد حتى الدم كل ايام الحياة فليس معنى انك « تجددت وولدت ولادة جديدة » أن ينتهى جهادك ، فانت محتاج أن تقاوم حتى الدم . لان اناسا كثيرين بداوا بداءة حسنة، وانتهى بهم الامر الى الهلاك

يحدثنا بولس الرسول عن اشخاص « **بداوا بالروح واكملوا بالجسد** » غل ٣ : ٣ . فاين كانت النعمة عندما هلكوا ؟ لقد تركتهم لحرية ارادتهم . والرب لا يفرض الخلاص على احد ؛ ولا يرغمك على الخلاص. ان النعمة لا تمسك حياتك وترسلها الى ملكوت السموات بالاجبار . لان الانسان ليس مسيرا نحو الخير يتحدث بولس الرسول **عن ديماس انه تركه اذ احب العالم الحاضر** ٢ تى ٤ : ١٠ . فاين كانت النعمة عندما هلك ديماس ؟ كانت موجودة لكنه لم يعمل معها . ويقول بولس فى رسالته الى اهل فيلبى : « لان كثيرين يسيرون ممن كنت اذكرهم لكم مرارا والان **اذكرهم ايضا باكيا وهم اعداء**

صليب المسيح الذين نهـــايتهم الهـــلاك » فى ٣ : ١٨ ، ١١ . هؤلاء اشخاص كانوا اعمدة فى الكنيسة ، وكانوا من مساعدى بولس الاقوياء ، وكانت تعمـــل فيهم النعمة بقوة ، لقـــد نال هؤلاء الخـــلاص ، ولكنهم فقدوه فى الطـــريق ، وفقدوه الى الابد ، اذ يقول بولس : « ان نهايتهم الهلاك » .

اذن ليس كافيا أن تكون نعمة الله موجودة معنـــا وانمـــا لابد لنا أن نجاهد بكل قوتنا ـــ وصحيح « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحـــم » ، لكن من هم الذين يرحمهم الله ؟ أن الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . قوة الله هى التى تعطيهم النصرة والغلبـــة ، ولكنهم اذا لم يشاءوا ولم يسعوا يهلكون . لمـــا تكلم بولس فى مســـألة المتحيزين الى ابولس ، شرح أن المســـألة ليست مسألة بولس ولا ابولس ١ كو ١ ، ٣ . لان واحدا غرس والاخـــر سقى لكن الله هو الذى ينمى : « اذن ليس الغارس شيئا ولا الســـاقى بل الله الذى ينمى » ١ كو ٣ : ٧ . فلابد من الغرس ومن الرى حتى ينمى الله . والله الذى ينمى هو الذى يرجـــع اليه الفضل . ولكن ليس معنى هذا أن نمتنع عن الغرس والسقى .

الحـــرب الروحيـــة :

لنتأمل الكتاب المقدس عندما يصف لنا الحروب الروحية فى الاصحاح السادس من الرسالة الى أهل أفسس الذى يقول:

« أخيرا يا اخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته ، البسوا سلاح الله الكامل لكى تقـــدروا أن تثبتوا ضـــد مكايد ابليس فان مصـــارعتنا ليست مع دم ولحم بـــل مع الرؤســـاء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجنـــاد الشر الروحية فى السماويات ، من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليـــوم الشرير ، وبعد أن تتمموا كل شى أن تثبتـــوا فاثبتوا ممنطقين أحقـــاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل السلام ، حاملين فوق الكل ترس الايمـــان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة ، وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمـــة الله . مصلين بكل صـــلاة وطلبة كل وقت فى الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لاجل جميع القديسين ولاجلى » أف ٦ : ١٠ ، ١٩ .

هنا مصارعة وهنـــا حرب روحية ، اى ان هنـــا جهادا ، والسلاح هو سلاح الله ، هو الايمـــان ، هو الاعتماد على الرب . لكن ليس معنى ذلك اننـــا لا نجاهد ، فالنعمـــة هى

السلاح ، والجهاد هو الحرب جاهد اذن * واعتمد على الله في جهادك ، والله سوف ينصرك . ولا تصبح مثل شخص أخذ ترس الايمان وخوذة الخلاص وسيف الروح ومنطقة الحق ودرع البر ووقف ساكتا لا يحارب . فكيف ينتصر ان لم يستعمل درع البر وسيف الروح الذى هو كلمة الله .

انها حرب وجهاد وقتال وصراع ، والاسلحة هى أسلحة الله، ولكن لابد لك أن تستخدمها وتحارب بها ، والا فستهزم . ان الاشخاص الذين ذكرهم بولس باكيا كانت معهم الاسلحة الروحية ولكنهم لم يحاربوا ولم يجاهدوا ، ومالت نفوسهم نحو الخطية واستسلمت ، فهلكوا فى خطاياهم .

عندما حارب داود جليات الجبار ، كيف انتصر ؟ .. بقوة الله . قال له : « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس وأنا آتى اليك باسم رب الجنود » ١ صم ١٧ : ٤٥ . فداود انتصر بسيف الله ، بقوة الله ومعونته . ولكنه حارب ، وانتخب له خمسة حجارة ملساء من الوادى ، وكان مقلاعه بيده ؛ وتقدم نحو الفلسطينى وأخذ حجرا من الخمسة ورماه بالمقلاع ، وضرب الفلسطينى فى جبهته فسقط على وجهه الى الارض ١ صم ١٧ : ٤٠ . فداود حارب ، والله هو الذى نصره . لانه كان من الممكن ان الحصاة لا تأتى فى موضع قاتل بالنسبة

لجاليات فلا يقتل . لكن الله اعطاه قوة وقتـــل الجبار . لذلك قال بولس : « ليس لمـــن يشاء ولا لمن يسعى بـــل لله الذى يرحم » .

ويقول بولس الرسول ايضا : **« ان كان احد يجاهد لا يكلل ان لم يجـــاهد قانونيا »** ٢ تى ٢ : ٥ ، اذن لابد أن تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهـــذا تخلص . ويقـــول بطرس الرسول : « اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو . **فقاوموه راسخين فى الايمان »** ١ بط ٥ : ٨ . اى جاهدوا ضده ، وليس بقوتكم بل راسخين فى الايمان ، اى قاوموه بنعمـــة الله . جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشرية . جاهد بكل ما اعطيت من قوة ، معتمدا على نعمة الله ومعونته وفعل الروح القدس .

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى ـــ « وملعون من يتكل على ذراع بشرى » . والحقيقة ان الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو اعتمد الشخص على ذاته فقط . لو كان يعتبر انه بمجرد جهاده فقط يخلص . هنا تقف امامه الاية القـــائلة : « لانكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » يو ١٥ : ٥ . ان بدون سلاح لا تصلح . وهذا ليس معناه ان الحرب لا قيمـــة لها ، بل معناه اننا عندما نحـــارب بدون سلاح ـــ اى بدون نعمة الله ومعونته ـــ فاننا لا ننتصر .

جهـــاد الرسل والرعاة :

وهل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر منهم جميعهم » ١ كو ١٥ : ١٠ . كلهم تعبـــوا ، وبولس تعب أكثر ، تعبـــا سجله فى رسالته الى كورنثوس ٢ كو ١١ : ٢٣ ، ٣٣ . فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لمـــاذا يتعب بولس ؟ وما لـــزوم الكرازة والوعظ والنصـــح والتبشـــير والرعاية والتعب ، فالنعمة تعمل كل شيء ؟ ! ولماذا ترعى وتفتقد وتجاهد وتتعب ذاتك ؟ أليس الله قادرا أن يتكلم فى قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! وما لزوم الرسل والرعاة والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ هل هو اعتماد على ذراع بشرية ؟! لو كانت النعمـــة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن ينـــام ويصلى ويقول « انت يا رب ترعى شعبك . لماذا أجاهد ؟ لانه ليس لمـــن يشاء ولا لمن يسعى بل أنت الذى ترعى الشعب » ! والواعظ ، لمـــاذا يعظ ؟ يكفيه أن ينـــام فى البيت مستريحا ، ويقول « نعمتـــك يا رب تتكلم فى قلوب الناس وترشدهم وتخلصهم » ! وأنت لماذا تتعب نفسك فى حياتك الخاصة فى الصـــلاة وفى الصوم وفى الجهاد ؟ كفاك أن تكون مع النعمة ؟ هل ترمى نفسك فى الاوساط الشريرة وتقول « النعمة تخلصنى » ؟ ! هل تجلس فى مجالس المستهزئين وتسير فى طرق الخطاة وتقول « النعمة

لا تجعلنى أتأثر بهم » ؟! ولماذا يقول الكتاب « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الاشرار وفى طريق الخطاة لم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس » ؟! مز ١ . أليس لان هذه الاشياء كافية بأن تبعده عن النعمة .

الايمـــان والاعمـــال :

ان مسألة الجهـــاد والنعمة يدخل فيهـــا مبدأ بروتستانتى خطير فمارتن لوثر يقول : « كن زانيا ، كن قاتلا ، كن فاجرا ، كن فاسقا ، لكن آمن فقط بالذى يبرر الفاجر وأنت تخلص » ـــ هذا الكلام صعب ! فالمسيح رفض الذين عن اليســـار اذ قال لهم « لانى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريبـــا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى ، مريضـــا ومحبوسا فلم تزورونى » مت ٢٥ : ٤٢ . اذن من لا يعمل لن يخلص . ويقول الرب أيضا : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الاثم » مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣ . والعذارى الجاهلات قلن له : « ياسيد ياسيد افتح لنـــا » مت ٢٥ : ١١ . اذ قد كن يؤمن به ، ولكنـــه لم يفتح لهن بل طـــردهن قائلا : « الحـــق أقول لكـــن انى لا أعـــرفكن » مت ٢٥ : ١٢ .

فكيف هذا ؟ ألا يكفى الايمـــان وحده ؟ ــ كلا « فالايمـــان بدون أعمال ميت » يـــع ٢ : ٢٦ . والكتاب يقـــول ايضا : « اصنعوا أثمارا تليق بالتـــوبة » مت ٣ : ٨ . ما كان أسهل أن يقول « فلتصنع النعمة فيكم ثمارا » . ان الثمـــار تتكون فعلا بتدخل عمل النعمة . ولكن الرب لكى يثبت عمل الانسان معها ، قال « اصنعوا أثمـــارا .. » لذلك ان لم تعمـــل مع النعمة لا يمكن أن النعمة تخلصك .

قال القديس أغسطينوس : « ان الله الذى خلقـــك بدونك لا يمكن أن يخلصك بدونك » . فالله خلقك بدون عملك انت ، لكن عندما يخلصك لابد من عملك انت معه . اذن آية « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » تعنى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بمفرده بدون عمل الله معـــه ، وبدون معونة من الله ، بدون شركة الروح القدس . ان الله يرحم الذين يشاءون ويسعون . ولابد أن تقول مع بولس «جاهدت الجهاد الحسن واكملت السعى » ، ولابد ان « تقاوم حتى الدم مجاهدا ضد الخطية » ولكن راسخا فى الايمان ومعـــك السلاح النعمة وبه تنتصر .

التداريب الروحيـــة :

والذين يحـــاربون الجهـــاد ، يحاربون ايضـــا التداريب الروحيـــة .

ولماذا يحاربونها ؟ كما لو كانت هى ايضـــا اعتمادا على ذراع بشرية ؟

طبعا لو سلك انسان فى التدريب الروحى معتمـــدا على قوته الخاصة يخطىء . جيدا ان يدرب نفسه ولكن على قـــوة الله .

وبولس الرسول يتحدث هو ايضا عن تداريبه فيقول فى سفر الاعمال « لذلك انا ايضا ادرب نفسى ليكون نى دائمـــا ضمير بلا عثرة من الله والناس » اع ٢٤ : ١٦ . ويقول فى رسالته الى فيلبى « وفى جميع الاشياء قد تدربت، ان اشبع وأن اجوع وأن استفضل وان انقص » فى ٤ : ١٢ . تدرب فى كل شىء واصبحت له الحواس المدربة ! فلا مانع من ان يسلك الانسان فى التداريب الروحية غـــير معتمدا على ذاته وقـــوته الشخصية ، بل على نعمة الاله التى تعطى له .

وهنا بعد تمام الحديث ــ نتطرق الى بعض الاسئلة التى قد تدور فى فكر الفـــرد لنعرف ما هى الاجابة عليهـــا فيزيد ثباتنا فى النعمة والجهاد :

السؤال الاول :

اذا كان الايمان وحده لا يكفى للخلاص فما الذى فعـــله اللص اليمين على الصليب حتى خلص ؟

الجـــــواب :

لقد عمل اللص كثيرا : آمن بالرب فى ظروف قاسية جدا ، واعترف بهذا الايمـــان علانية ، الامر الذى لم يقـــدر عليه بطرس الرسول وباقى الرسل . واعترف ايضـــا بخطاياه لانه قال « نحن بعدل جوزينا » . ودافع عن الرب ، وبكت اللص الاخر . وانا ـــ فى هذا المجـــال ـــ اسأل سؤالا هاما يسرنى أن اسمع الاجابة عليه وهو « ماذا كان بامكان هذا اللص أن يفعل أكثر من هذا ولم يفعله ؟ » ..

مجرد ايمان اللص لم يكن امرا سهلا . لو انه آمن بالرب، وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، وينتهر الريح ، ويمشى على الماء ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك امورا واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به وهو مهـــان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة ضعف ! يلطمونه ، ويبصقون على وجهه ، ويستهزئون به ، ويقولون له « تنبأ من اطمك » !

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان . ولو أن هذا اللص لم يؤمن ، لالتمس له الناس الاعذار ، فكيف يمكن أن يؤمن برجـــل مصاوب أنه اله ؟! لابد أن اللص كان محتاجا الى جهاد كبير ليصل الى هذا الايمان مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه ..

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس .. فهل كان هذا كافيا للايمان ؟ على الرغـــم من ذلك لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبـــة والفريسيون ، ولم يؤمن اللص الاخر .. يضاف الى هذا أن المسيح المصلوب يقول « الهى الهى لماذ تركتنى .. الامر يدعـــو الى الشك ، وخاصـــة بالنسبة الى لص نشأ فى بيئة معينة ..

من أين أتاه اذن هذا الايمـــان ؟ هل النعمـــة عملت فيه ؟ واذا كانت النعمة قـــد عملت فيه ، فلماذا لم تعمل فى اللص الاخر ؟ على الرغم من أنهما فى حالة واحدة وفى مركـــز واحد وستنتهى حياتهما بعد فترة وجيزة ؟ فلماذا لم تخلص النعمة اللص الاخر كما خلصت الاول ؟ قطعا كانت النعمة تعمل فى الاثنين . ولكن الذى آمن أستسلم لعمل النعمة وقبله ، وقاوم الشكوك والشيطان ، وجاهد . بينما الاخر الذى لم يؤمن ، لم يجاهد ، واستسام للشكوك والعثـــرات ، ورفض . فلم

يدخل اللص ملكوت الله لمجرد ايمانه فقط ، بل لجهاده ايضا ضد الشكوك التى كانت كافية لان تعثره وتبعده عن الايمان. ان الجهـــاد ليس قاصرا على التطـــاحن والتشاجر ، ولكن هناك جهاد داخلى كجهاد اللص ، الذى جاهد ضد الشكوك والافكار والتجاديف .

كل من يقول ان اللص لم يجـــاهد ، يبدو انه لم يتخيـــل ويتصور الموقف الذى احاط باللص ، ذلك الموقف الذى اعثر فيه جميع الناس حتى التلاميذ الذين قـــال لهم الرب « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة » مر ١٤ : ٢٧ . لقد ضرب الراعى فتبددت الرعية كلهـــا !! ولم يستطع ان يقف الى جـــوار الصليب الا المريمات ويوحنـــا الحبيب فقط ! ينبغى اذن ان نعرف أن جهاد هذا اللص كان من اعظم انواع الجهادات !

السؤال الثانى :

ما هـــو التعليم بالاختيـــار الذى فيه يتم عمـــل الخلاص بالنعمـــة ... ؟

الجـــواب :

طبعا لا يمكن ان نتكلم عن الجهاد والنعمة بدون ان نتكلم عن الاختيار . فما هو الاختيار ؟ وما علاقته بالاية التى تقول

« أرحم من أرحم وأتراءف على اتراءف » رو ٩ : ١٥ ؟ هل معناه أن الله **اختـــار أشخاصا معينين للملكوت** ؟ وما هـــو المقصود بقوله فى سفر الاعمال : « وآمن جميع الذين كانوا معينين لحياة الابدية » اع ١٣ : ٤٨ .

لكى نفهم ذلك يجب أن يكون لنا ايمان سليم مبنى على اسس ثابتة . فلابد أن نؤمن أن الله عادل وليس عنده ظلم البتة ، وان كان غير عادل فلا نؤمن به . وما دام الله عادلا فهـــل من المعقول أن يختار أشخاصا معينين للخلاص ؟ فاذا كان الله يرحم من يرحـــم ويتراءف على من يتراءف ، ويتـــرك الباقين للهلاك ، اذن فهو ظالم ! ولكن الكتاب المقدس يرد على مشكلة الاختيار بآية واضحة تقول « **الله يريد أن الجميع يخلصون والى معرفة الحـــق يقبلون** » ١ تى ٢ : ٤ . اذن فما معنى الاختيار ؟ ان الله يدعو جميع الناس لانه يريد أن الجميع يخلصون . انه لم يختـــر ولم يحب نوعا معينا من الناس أو مجموعة معينـــة أو « المختارين » فقط ، ولكنـــه احب الجميع اذ يقول الكتاب : « هكذا أحب الله **العالم** حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك **كل من يؤمن به** بل تكـــون له الحيـــاة الابدية » يو ٣ : ١٦ . وفى حادثة رؤيا كرنيليوس يقول الكتاب : « ففتح بطرس فاه وقال : بالحق انا أجد أن الله لا يقبل الوجوه **بل فى كل امة الذى يتقيه ويصنع البـــر**

مقبول عنده » أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥ . « **وكل من يدعو باسم الرب يخلص** » أع ٢ : ٢١ . فهو لم يختر جماعة معينة ، والا يكون ظالما ، بل يريد أن الجميع يخلصون . لذلك قدم خلاصا مجانيا كاملا لجميع الناس هذا الخلاص ليس لنا فضل فيه ، ولا دخل للجهاد فيه ، لاننا « متبررون مجانا بنعمته » رو ٣ : ٢٤ .

ولكن هل خلص الجميع ، بهذا الخلاص المجانى المقدم للجميع ؟

يقول يوحنا الرسول : « وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار وهو كفارة ليس لخطايانا فقط بل **لخطايا كل العالم أيضا** » ١ يو ٢ : ١ . فدم المسيح الذى سفك على الصليب كاف لغفران خطايا العالم كله ، فهل خلص العالم كله ؟ كلا ، لم يخلص العالم كله . لانه يوجد أناس آمنوا بالخلاص وقبلوه ، وآخرون رفضوه ولم يؤمنوا به فأمر خلاصك يتوقف اذن على اتفاق ارادتك مع ارادة الله وقبولك للخلاص . لذلك قال المسيح له المجد « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم من مرة **أردت** أن اجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها **ولم تريدوا هوذا** بيتكم يترك لكم خرابا »

مت ٢٢ : ٣٧ فالجميع مدعوون للخلاص ، ولكن الله لا يرغم أحدا على القبول . لذلك عندما دعا للعرس دعا الجميع . حتى غير المستحقين دعاهم أيضا للعرس ودعاهم للخلاص. يقول الكتاب : « ثم قال لعبيده أما العرس فمستعد وأما المدعون فلم يكونوا مستحقين » مت ٢٢ : ٨ .

يقول الكتاب عن عمل النعمة هذا المثل : « خرج الزارع ليزرع وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق وآخر على الاماكن المحجرة وآخر على الشوك وآخر على الارض الجيدة .. » مت ١٣ : ٣ — ٨ . لم تأت كل البذار بثمر ، ليس لان البذار رديئة ، حاشا ، لانها كلمة الله الصالحة ونعمة الله العاملة . ولكن لان النعمة وحدها لا تكفى : فعندما أتت الى القلب الحجرى لم تأت بثمر . وعندما أتت حيث لم يكن له عمق أو أصل ، نبت قليلا ثم جف النبات ، وفى موضع آخر طلع الشوك وخنقه ، هكذا اهتمامات العالم وحاجياته خنقت الزرع المقدس . فلابد أن تبعد عن الشوك لكى تخلص نفسك ، لا تجلس فى مجالس المستهزئين ولا تسر فى طريق الخطاة ، متكلا على عمل النعمة . لان النعمة لا تخلصك ، ما لم تشترك معها فى تخليص نفسك ، وتجاهد كثيرا . مثلما فعلت المرأة نازفة الدم لكى تخلص : جاهدت وسط الجمع المزدحم حتى وصلت الى المسيح ولمست هدب

ثوبه فشفيت فى الحال . وايضا مثلما فعل زكا اذ تسلق الشجرة حتى رآه المسيح وخاصه ، ولم يمنعه من ذلك مركزه وكرامته .

فالمسيح مستعد ان يأتى اليك اذا طلبته ولم تقصر فى جهادك ولو فرض انك قصرت فلماذا لم تخلصك النعمة من التقصير ؟ لنفرض أنى خاطىء واريد ان اتوب ، فهل تأتى التوبة بارادتى أم بالنعمة ؟ ان كانت بالنعمة فلماذا لم تتوبنى ، والله يريد أن الجميع يخلصون ؟! ربما لانى طلبت ولم اعمل ما يتفق وعمل النعمة . فلابد ان نكافح ، محاربين بسلاح النعمة لذلك قال بولس الرسول : « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » عب ١٢ : ٤ . وقال أيضا : « أقمع جسدى واستعبده حتى بعد ماكرزت للاخرين لا اصير أنا نفسى مرفوضا » ١ كو ٩ : ٢٧ . فحتى بولس كان ممكنا ان يصير مرفوضا ، على ان المسيح ظهر له والنعمة عملت فيه بقوة . لابد من أن يجاهد الانسان ، فالجهاد هو استخدام لسلاح النعمة .

السؤال الثالث :

هل توجد فترات يمكن أن تفارق فيها النعمة الانسان المجاهد ؟

الجـــواب :

النعمة لا تفارق الانسان مفارقة كلية ولكنهـا جزئية الى حين . فأحيانا اذا تكبر الانسان تفارقه النعمة ، فيسقط ، ويشعر بضعفه ، فلا يعود للكبرياء ثانيـة ، وفي ذلك يكون هذا التخلى نوعا من أنواع العلاج . واحيانا تفارقه قليـلا كنوع من السياسـة الالهيـة : حتى يتشوق الى النعمـة ، ويطلبها ، وينمو فى الصـلاة ، ويشكر الله على استجابة طلباته ، ولا يتهاون ، ويجاهد ، وغير ذلك .

ولربنا كل مجد وكرامة آمين ..